والتبرك بها من التعظيم ما يعد تعظيما للأنبياء والصالحين واحتراما — أي أخرى
المقدمتين — ~~وكلتا المقدمتين باطلة غير صحيحة، فلا نسلم أن التقبيل قبر الميت والطواف به~~
~~والعكوف عليه والتزلف به~~ أن كل ما يعد تعظيما في حال من الأحوال والعرف من العقلاء
للأنبياء والصالحين يجوز أو يستحب أو يسن أو يجب صرفه لهم. وكلتا المقدمتين محل
النزاع والخلاف بيننا. أما الأولى فللقائل أن يقول: أعطني دليلك على ما الدليل الصحيح على أن تقبيل
قبر الميت والطواف به والتمسح به واستلامه والتزلف والعكوف عليه وطلب البركات والحاجات
من الخيرات عنده من التعظيم لنفس الميت؟ إنه لا دليل على هذه الدعوى ومدعيها لم يذكر إلا
دليله فلا التفات إليه. وأما المقدمة الثانية فلا ريب في بطلانها وكذبها وفسادها إذ لا
خلاف بين الناس في أنه لا يجوز أن يقدم أحد لأحد ويجعل كل ما يعد أو يسمى أو يدعى أنه من
التعظيم لأحد الأنبياء أو لأحد الصالحين. ومن ادعى هذه الدعوى الكلية وذهب إليها فقد ذهب إلى
إباحة الشرك والكفر وعبادة المخلوقين بل فقد ذهب إلى وجوب ذلك أو ندبه. وهذا لأن من
عبد الأنبياء والصالحين فصلى وصام وحج وذبح ونذر وقدم إليهم كل أنواع العبادات تخرج بأن
يسمي عبادته لهم وأنه يعدها تعظيما لهم واحتراما. فالذين يعبدون المسيح وأمه وعزيرا وعلي
ابن أبي طالب والحسن والحسين وآلهم ويعبدون الملائكة ويعبدون [illegible] من البشر وغير
البشر لا يريدون أن يسموا ويعدوا عبادتهم لهم تعظيما واحتراما وقياما بحقوقهم واعترافا
بها. والذين يضيفون إليهم ما ليس لهم من صفات الله وخصائص الربوبية كعلم الغيب
والقدرة على كل شيء والتصرف المطلق والقدم والغنى المطلق لا بد أن يعدوا ذلك ويسموه تعظيما
واحتراما لهم وقياما بحقوقهم. وهذا ضروري واضح ~~لأن المشرك لا يرى شركه إلا عين~~
~~تعظيمه وتكريمه وحبه~~ وعليه فكل من عبد الأنبياء والصالحين فليس بمشرك
ولا كافر [illegible] بل [illegible] ليس بضال ولا مضل، بل هو أرشد وأصوب وأجدر بأن [illegible]
عمل ما هو تعظيم لعباد الله الصالحين وتعظيمهم من تعظيم شعائر الله وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب.
فهذه الحجة باطلة لبطلان مقدمتيها. وقد مر في ~~أثناء هذا الجزء~~ الكلام على إبطال هذه الحجة
في مواضع من ~~[illegible]~~ هذا الجزء فلا نطيل القول فيها. وكذا الاستدلال بقوله تعالى ومن
يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب فإنه أضاع مقدمتيه: الأولى أن القبور من
شعائر الله، والأخرى أن تقبيلها والطواف بها والتمسح بها والعكوف عليها واستلامها والتزلف والتبرك
بها والتماس البركات والخيرات عندها من تعظيمها. والمقدمتان باطلتان فاسدتان لا نسلمهما
ولا نقول ولا نسلم أن القبور من شعائر الله التي حث على تعظيمها والقيام بها. وكذا لا نقول إن
الميت نفسه من شعائر الله كما لا نقول ولا نسلم أن هذه الأعمال من التعظيم المأمور به المطلوب.
وقد سبق الكلام في هذا الجزء على الاستدلال بهذه الآية. ولو صدقت المقدمتان وصحتا
لطولب المخالف بمقدمة ثالثة وهي الدليل على أن كل ما يعد تعظيما للقبور أو لأصحابها يجوز
أو يطلب عمله. وهذه مقدمة باطلة كما سبق فبطل الاستدلال بالآية كما بطل بقولهم: إن التعظيم
للقبور من التعظيم لأصحابها. والغلط الأكبر الأفظع الذي وقع فيه هذا المخالف وغيره من الجاهلين
والذي بنوا عليه سائر أغاليطهم وتخاليطهم في هذه المسائل هو ظنهم أن كل ما يسمى تعظيما
واحتراما للصالحين — ولو في عقيدة فاعله وحده — يجوز صرفه ~~وعمله لهم~~ إليهم وعمله من أجلهم
وأنه ليس شركا بالله وكفرا لا ريب فيه. وهذه أغلط الأغلوطات وجرثومة ما وقعوا
فيه من الضلالات. وما دروا أن الأنبياء قد جاؤوا وأن الكتب قد أنزلت لأجل دلالة
عن الغلو في تعظيمهم وحبهم غير ربهم [illegible] ولا دروا أن من التعظيم شركا وأن من
الحب والاحترام كفرا وأن عبادة الأنبياء والصالحين لا تعد إلا أن يكون تعظيما
واحتراما وحبا في نيات عابديهم ومحبيهم ومعظميهم الحب والتعظيم الباطلين